أَلقَصَصُ الْقُرآنيُّ

﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ ﴾

سماحة العلامة
الشيخ محمد هادي معرفة قدس سره

مفهوم القصة:

قصَّ عليه الخبر قَصَصاً: حدثه به. والقَصُّ والقَصَص: تَتَبُّعُ الاثر. يقال: قصصت اثره اي تتبعته. قال تعالى: ﴿فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ [سورة الكهف: ٦٤] اي رجعا يقصان الاثر الذي جاءا به. وقال –على لسان ام موسى–: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ﴾ [سورة القصص: ١١] اي تتبعي اثره حتى تنظري من يأخذه من الماء. والقِصَص: الاخبار المتتبعة، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ﴾[سورة آل عمران: ٦٢] وقال ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[سورة يوسف: ١١١].

والقِصَّة: الحديث. الخبر. الامر الحادث. الاحدوثة. الشأن. الحال. جمعها: قِصَص واقاصيص. وقصص القرآن: إخباره عن احوال الماضين من امم وانبياء سابقين، وعن حوادث واقعة في سوالف الايام. وقد اشتمل القرآن على كثير من وقائع ماضية وتاريخ الامم وذكر البلاد والديار وتتبع اثار اقوام، حكى عنهم صورة ناطقة لما كانوا عليه..

اثر القصة:

وللقصة –اذا كانت ذات هدف– فقد وقع اثرها في النفوس وقعاً مباشراً وفي

احسن وجوه، فان ذكر الحادثة المرتبطة بالاسباب والنتائج، مما يهفو اليها السمع ويعيها القلب، اذا تخللتها مواطن العبرة في اخبار الماضين، وكان حب الاستطلاع لمعرفتها من اقوى العوامل على رسوخ عبرتها في النفس.

والموعظة الخطابية تسرد سرداً لا يجمع العقل اطرافها، ولا يعي جميع ما يلقى فيها، ولكنها حين تأخذ صورة من واقع الحياة في أحداثها، تتضح اهدافها ويرتاح المرء لسماعها، ويصغي اليها بشوق ولهفة، ويتأثر بما فيها من عبر وعظات. وقد اصبح أدب القصة -قديماً وحديثاً- فناً خاصاً من فنون اللغة وادابها ولا سيما في مجال التربية والتعليم.

والقصص الصادق يمثل هذا الدور في الاسلوب القرآني الحكيم اقوى تمثيل، ويصوره في ابلغ صورة في البيان والارشاد.

قال نظام الدين القمي النيشابوري: ونحن نرى ان الانسان يذكر معنى فلا يلوح كما ينبغي، فاذا ذكر المثال اتضح وانكشف. وذلك انَّ مِن طبْعِ الخيال حبَّ المحاكاة، فاذا ذكر المعنى وحده ادركه العقل ولكن مع منازعة الخيال، واذا ذكر التشبيه معه ادركه العقل مع معاونة الخيال. ولاشك في ان الثاني يكون اكمل. واذا كان التمثيل يفيد زيادة البيان والوضوح، وجب ذكره في الكتاب الذي انزل تبياناً لكل شيء[1]..

قال الرازي -بصدد بيان فائدة ذكر قصص الانبياء-:

اعلم انه سبحانه لما بالغ في تقرير الدلائل والبينات، وفي الجواب عن الشبه والسؤالات، شرع بعد ذلك في بيان قصص الانبياءعليهم السلام لوجوه:

احدها: ان الكلام اذا طال في تقرير نوع من انواع العلوم، فربما حصل نوع من انواع الملالة، فاذا انتقل الانسان من ذلك الفن من العلم الى فن آخر، انشرح صدره وطاب قلبه ووجد في نفسه رغبة جديدة وقوة حادثة وميلاً قوياً.

وثانيها: ليكونصلى الله عليه وآله ولاصحابه اسوة بمن سلف من الانبياء، فان الرسول اذا

(١) تفسير غرائب القرآن للنيشابوري -بهامش تفسير الطبري ج١ص١٩٩ -٢٠٠.

سمع ان معاملة هؤلاء الكفار مع كل الرسل، ما كانت الا على هذا الوجه، خف ذلك على قلبه. كما يقال: المصيبة اذا عمت خفت.

وثالثها: ان الكفار اذا سمعوا هذه القصص، وعلموا ان الجهال وان بالغوا في ايذاء الانبياء المتقدمين، الا ان الله تعالى اعانهم بالاخرة ونصرهم وايدهم وقهر اعداءهم، كان سماع هؤلاء الكفار لأمثال هذه القصص سبباً لانكسار قلوبهم ووقوع الخوف والوجل في صدورهم. وحينئذ يقللون من انواع الايذاء و السفاهة.

ورابعها: ان محمداً ﷺ لما لم يتعلم علماً، ولم يطالع كتاباً، ثم ذكر هذه الاقاصيص من غير تفاوت، ومن غير زيادة ومن غير نقصان، دل ذلك على انه ﷺ انما عرفها بالوحي والتنزيل[٢].

قال الزمخشري -عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [سورة الزمر: ٦٧] -: والغرض من هذا الكلام، اذا اخذته كما هو بجملته ومجموعه، تصوير عظمته والتوفيق على كنه جلاله لا غير، من غير ذهاب بالقبضة و لا باليمين الى جهة حقيقة او جهة مجاز. وكذلك حكم ما يروى ان حراً[٣] جاء الى رسول الله ﷺ فقال يا أبا القاسم، ان الله يمسك السماوات يوم القيامة على اصبع، والارضين والجبال على اصبع، والشجر على اصبع وسائر الخلق على اصبع، يهزهن فيقول انا الملك!. فضحك رسول الله ﷺ تعجباً مما قال...

قال: وانما ضحك افصح العرب وتعجب لانه ﷺ لم يفهم منه الا ما يفهمه علماء البيان، من غير تصور امساك ولا اصبع و لا هز و لا شئ من ذلك. ولكن فَهْمَهُ وقع اول شئ واخره على الزبدة والخلاصة، التي هي الدلالة

(٢) التفسير الكبير ج١٧ص١٣٥ عنه تفسير الاية ٧١ (ذكر نوح) من سورة يونس.

(٣) في الكشاف: جبرائيل.. وهو تصحيف. والصحيح ما اثبتناه وفق ما في صحيح البخاري وغيره من كتب الحديث والتفسير. راجع: ابن كثير ج٤ ص٦٢.

على القدرة الباهرة، وان الافعال العظام التي تتحير فيها الافهام والاذهان ولا تكتنهها الاوهام، هيّنة عليه هواناً لا يوصل السامع الى الوقوف عليه، الا جراء العبارة في مثل هذه الطريقة من التخييل. ولاترى باباً في علم البيان ادق و لا ارق ولا أَلطفَ من هذا الباب، و لا انفع ولا أعوَنَ على تعاطي تأويل المشتبهات من كلام الله تعالى في القرآن وسائر الكتب السماوية وكلام الانبياء، فان اكثره وعليته تخييلات، قد زلت فيها الاقدام قديماً. وما اتى الزالون الا من قلة عنايتهم بالبحث والتنقير، حتى يعلموا ان في عداد العلوم الدقيقة علماً لو قدروه حق قدره، لما خفى عليهم، ان العلوم كلها مفتقرة اليه وعيال عليه، اذ لا يحل عُقَدَها المورية و لايفك قيودها المكربة الا هو..

قال: وكم من آية من ايات التنزيل وحديث من احاديث الرسول، قد ضيم وسيم الخسف بالتأويلات الغثة والوجوه الرثة، لان من تأوَّل ليس من هذا العلم في عِيرٍ ولا نفير، ولايعرف قبيلاً منه من دبير[٤]...

فالتمثيل من صنع الخيال، الامر الذي تجده في فصيح الكلام، واعلاه القرآن الكريم، فانه اعتمد على عنصر الخيال لانه اسلوب من اساليبه، وهو الاسلوب الذي دفع اليه حاجة العقل البشري الى هذا اللون من الكلام المتعارف..

وقال الشيخ محمد عبده: واما تفسير الايات على طريقة الخلف في التمثيل، فيقال: ان القرآن كثيراً ما يصور المعاني بالتعبير بصيغة السؤال والجواب، او باسلوب الحكاية، لما في ذلك من البيان والتأثير، فهو يدعو بها الاذهان الى ما وراءها من المعاني، كقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴾ [سورة ق: ٣٠] فليس المراد ان الله تعالى يستفهم منها وهي تجاوبه، وانما هو تمثيل لسعتها وكونها لا تضيق بالمجرمين مهما كثروا. ونحوه قوله تعالى -بعد ذكر الاستواء الى خلق السماء -: ﴿ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴾[سورة فصلت: ١١]. والمعنى

(٤) الكشاف ج٤ ص١٤٢ -١٤٣.

في التمثيل ظاهر.

وقال -بشأن قصة ادم وتعليمه الاسماء وسجود الملائكة له -: وتقرير التمثيل في القصة -على مذهب الخلف-: ان إخبار الله الملائكة بجعل الانسان خليفة في الارض، وهو عبارة عن تهيئة الارض وقوى هذا العالم وارواحه التي بها قوامه ونظامه لوجود نوع من المخلوقات، يتعرف فيها فيكون به كمال الوجود في هذه الارض. وسؤال الملائكة عن جعل خليفة يفسد في الارض، لانه يعمل باختياره ويعطى استعداداً في العلم والعمل لا حد لهما، هو تصوير لما في استعداد الانسان لذلك، وتمهيد لبيان انه لا ينافي خلافته في الارض. وتعليم ادم الاسماء كلها، بيان لاستعداد الانسان لعلم كل شئ في هذه الارض وانتفاعه به في استعمارها. وعرض الاسماء على الملائكة وسؤالهم عنها و تنصلهم في الجواب، تصوير لكون الشعور الذي يصاحب كل روح من الارواح المدبِّرة للعوالم محدوداً لا يتعدى وظيفته. وسجود الملائكة لادم عبارة عن تسخير هذه الارواح والقوى له، ينتفع في ترقية الكون بمعرفة سنن الله تعالى في ذلك. واباء ابليس واستكباره عن السجود، تمثيل لعجز الانسان عن اخضاع روح الشر وإبطال داعية خواطرالسوء التي هي مثار التنازع والتخاصم والتعدي والافساد في الارض. ولولا ذلك لجاء على الانسان زمن يكون فيه افراده كالملائكة بل اعظم، او يخرجون عن كونهم من هذا النوع البشري[٥]..

وللشيخ عبد القاهر الجرجاني بيان تفصيلي لفوائد التمثيل في الكلام، عرضنا له في قسم البيان من اعجاز القرآن[٦] وسنذكر ان التمثيل في القرآن نوع من القصص الحاكية عن حالة واقعية، تتجسد في قالب المثال وليس فرضياً بحتاً. ومن ثم فالتمثيل اخص من القصص حسبما جاء في القرآن الكريم.

القصة في القرآن:

القرآن يقص القصص لعلهم

(٥) تفسير المنار ج١ ص٢٨٠ -٢٨٢.

(٦) راجع: التمهيد من هذ الكتاب ج٥ ص٣٤٨-٣٥٣.. واسرار البلاغة ص٩٢-٩٦.

يتفكرون، فهو يستعرض القصص لاهداف دينية سياسية وتربوية، او ان تأتي تحكيما لأركان الشريعة وتثبيت اسس النبوة، او ترويجاً لمكارم اخلاق انسانية اسلامية نبيلة.. وفي كلا المجالين كانت القصص القرآنية موفقة في اداء رسالتها وموفية في بلوغ اهدافها والحصول على اغراضها في نهاية المطاف.

فالقرآن يقص قصصه في اروع اشكالها وابدع صورها، وفي اصدق تعابيرها، مستلهمة من واقعيات كانت البشرية قد لامستها في صميم حياتها التي عاشتها في القديم او في وقت قريب.

نعم قد يستعرض القرآن قصصاً هي بضرب الامثال اشبه، تقريباً لمقاصد تمس واقع الانسان، وتكشف عن حقيقة ذاته، إنْ اصيلةً او منحرفة.. غير ان الاهداف: تثبيت معالم الشريعة وتركيز مكارم الاخلاق..

اذن يختلف القصص القرآني عن غيره من القصص في ناحية اساسية هي ناحية الهدف والغرض الذي جاء من اجله، اذ لا يعرض القرآن القصة لانها عمل مستقل في موضوعه كاعمال فن وترسيم خيال، ولا من اجل التحدث عن اخبار الماضين وتسجيل حياتهم وسائر شؤونهم التي سلكها لتحقيق اهدافه والتثبيت من اغراضه الدينية التربوية التي جاء الكتاب الكريم من اجله، وكان هدى للناس جميعاً.

مصادر القصة في القرآن:-

وقد شكك الكثيرون من اصحاب الاقلام الحاضرة، ممن ألقت المقادير بمقاليد الثقافة العربية في ايديهم فظنوا انهم شئ وما هم بشئ.. وكذا المستشرقون والمبشرون الاجانب، انهم شككوا في صحة ما جاء في القرآن من قصص، لانها تخالف التاريخ، ولو كان من عند الله لتنزه عن المخالفات. وهم- ولا سيما المستشرقون -يعللون ذلك بانها من عند محمدﷺ انهم يقولون لاقوامهم: ان محمداًﷺ كان يتعلم هذه الاخبار من العبيد والارقاء غير العرب، اولئك الاعاجم الذين كانوا يخدمون السادة من قريش، والذين اشار القرآن الى واحد منهم حين قال: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ

﴿يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾[سورة النحل: ١٦].

وهؤلاء ما كانوا يعرفون من التاريخ الديني للرسل و الانبياء الا شائعات. ذلك لانهم بحكم رقهم وفقرهم ما كانوا يستطيعون الحصول على نسخ من الانجيل والتوراة وكتب الاخبار، ومن ثم كانت معارفهم وقفاً على الشائعات، وما كانت وسيلته المشافهة، يكون دائماً عرضة للتحريف وعرضة للتغيير والتبديل وللزيادة والنقصان. ومن ثم كانت تلك المخالفات التاريخية التي جاءت في قصص القرآن[٧]!!.

لكن مثل هذا التشكيك تعود جذوره الى انكار الوحي وان ليس القرآن سوى ذهنيات كانت تدور في خلد محمدﷺ فأبرَزَها بصورة وحي سماوي نزل به الروح الامين، على ما اسلفنا –عند الكلام عن الوحي لدى علماء الغرب –حيث كانت تأويلاتهم تعود الى انكار النبوات، وانها تخيلات كانت تتجسد لمدعي النبوات (العياذ بالله)..

غير ان العرض ان كان يصدق بشأن الكتب المحرفة، فانه لا يصدق بشأن القرآن الحكيم، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

فاذا كان في الكتب السالفة بعض اقاصيص الحق، ويوجد مثلها في القرآن الكريم، فليس معنى ذلك ان القرآن اخذها من تلك الكتب، وانما هو بسبب ان المصدر في كلا الكتابين السلف والخلف واحد، وهو الله –تعالى –العزيز الحميد.

ومن ثم نرى ان القرآن قد راجع في امثاله التوراة والانجيل، في مثل قوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ

(٧) راجع: الفن القصصي في القرآن الكريم للدكتور محمد احمد خلف الله ص٢٢٦-٢٢٧.

لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ﴾[سورة الفتح: ٤٨].

والذي يجب التنبيه له: ان القصص القرآني يختلف عن القصص في التوراة- حسب الموجود -فان ما يقصه التوراة جاء كسرد حوادث تاريخية بحتة ذوات موضوعية في النقل والحكاية، على غرار سائر كتب التاريخ.. .

اما القرآن فيأخذ من قصص الانبياء مقتطفات ذوات اهداف خاصة، وليس يسرد قصة كاملة بحذافيرها كما يفعله القُصاص

الفرق بين القصة والتمثيل:

القصة حكاية عن واقعة لها تَحقّق واقعي. غير ان الواقعية تختلف وتتنوع الى واقعية عينية وقعت في الخارج باشخاص اعيانها.. والى واقعية هي حالة روحية ونفسانية تحكيها القصة بصورة تجسيم وتجسيد، فالاولى حكاية قول وهذه حكاية حال...

اما التمثيل فهو تصوير ورسم لحالة او وضع اجتماعي يتمثل في قالب المثال، وليس لها تحقق عيني خارجي.. وقد يكون مفروضاً بحتاً ومجرد مثال لتقريب المقال، فهو مجرد تشبيه لحقيقة حال بفرض حال..

اذن فمورد القصة قد يتحد مع مورد التمثيل، فيما اذا كان رسماً لحالة او وضع اجتماعي خاص، ويفترق التمثيل عن القصة في مورد الفرض والخيال. كما تفترق القصة عن التمثيل في مورد العينية الخارجية..

فما بين القصة والتمثيل من حيث المورد، عموم من وجه، فهما يتحدان في مورد، ويختلفان، كلٌّ في مورد غير مورد الاخر.

فمن موارد الاجتماع ما ضربه تعالى مثلاً لحالة المنافقين:

﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ

شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[سورة البقرة: ١٧ -٢٠].

فهذه حكاية حال واقع، وفي الوقت نفسه تمثيل في قالب تجسيد.

اما الحكاية البحتة فكقصة يوسف عليه السلام فيما اخبر الله تعالى في كتابه، اخباراً فيها من العبر والعظات الشئ الكثير.. وليس مجرد فرض او خيال، ولا حكاية صرف الحال..

واما التمثيل المحض -كالذي جاء في كتاب كليلة ودمنة -فلا اظن وجوده في القرآن، اذ كل تماثيل القرآن، انما تحكى عن حالات وصفات تعتور الانسان في حياته، وقد جسدها القرآن ورسمها احسن رسم. كما في قوله: -﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[سورة بقرة: ٢٦٤ -٢٦٥].

وقوله: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ ﴾[سورة ابراهيم: ١٤].

وقوله: ﴿ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ﴾ [سورة ال عمران: ١١٧].

وقوله: ﴿ لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴾[سورة الرعد: ١٤].

وقوله: ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [سورة البقرة: ١٧١].

وقوله: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة العنكبوت: ٤١].

وقوله: ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ [سورة الحج: ٢٢].

... الى غيرها من امثلة جاءت في القرآن، وهي تمثيلات مجردة لا واقع لها عينياً خارجياً.. لكنها في واقعها حكاية حال واقع، جاءت مصورة بتلك الصورة الواضحة.

تكرار القصة:-

مما اثير حول القصة في القرآن، مسألة تكرارها في مواضع متعددة، فقد تتكرر قصة واحدة عدة مرات في مواضع مختلفة من القرآن. قالوا: ان هذا التكرار قد يشكل ضعفاً في القرآن، لان القصة بعد ان جاءت في القرآن مرة، نستنفذ اغراضها الدينية والتربوية والتاريخية، فما بالها تتكرر مرة اخرى او مرات، وما هي الفائدة المتوخاة من وراء هذا التكرار؟.

وقد اشار الشيخ ابو جعفر الطوسي الى هذا الجانب من القصص القرآني -في مقدمة تفسيره -وعالجه معالجة اقناعية، قال: ان رسول الله ﷺ كان يبعث الى القبائل المتفرقة بالسور المختلفة، فلو لم تكن الانباء والقصص مكررة، لوقعت قصة موسى الى قوم وقصة عيسى الى قوم وقصة نوح الى قوم اخرين، فاراد الله بلطفه ورحمته ان يشهر هذه القصص في اطراف الارض، ويلقيها في كل سمع، و يثبتها في كل قلب، ويزيد الحاضرين في الافهام..

ثم اشار الى تكرار الكلام من جنس واحد وترداده في كلام واحد متصل، معادة مرات كما في سورة الرحمان والمرسلات، وانه على عادة العرب في تكرار جملة من الكلام تأكيداً في الامر[٨]..

هذا الذي ذكره الشيخ يُعدُّ فائدة مترتبة، وليس هو السبب، انما السبب هو: تعدد الاغراض والاهداف المترتبة على القصة الواحدة: تترتب على القصة في كل مرة اهداف يختلف بعضها عن بعض..

وتتلخص الاسباب التي تدعو الى تكرار القصة في وجوه:

الاول: تعدد الغرض الديني الذي يترتب على القصة الواحدة، فتتكرر حسب

(٨) تفسير التبيان ج١ ص١٤.

تعدد الاغراض..

الثاني: ان القرآن الكريم يتخذ من القصة اسلوباً لتأكيد بعض المفاهيم الدينية، وهذا الاسلوب يجب ان يتلاءم مع الجو الذي تعيشه الامة في فترة نزول القصة، وما اذا كانت في حالة ضعف وشدة ام في حالة قوة وصلابة وغير ذلك من حالات كانت تعيشها الامة طول فترة الرسالة... فاذا كانت القصة الواحدة ذات جوانب، فانها انما تذكر في كل حالة ما يتناسب وجانبها الخاص المتلائم مع الواقع الراهن..

مثلاً نجد اكثر قصص نبي الله موسى عليه السلام التي جاء ذكرها في سور مكية، تهدف الى العلاقة القائمة بين موسى من جانب، وقوم فرعون من جانب اخر، لان الاوضاع في مكة كانت وخيمة، طرف منها الاسلام، والطرف الاخر هم المشركون.. وانهم كانوا يشكلون محنة الاسلام حينذاك.. اما وبعد ان هاجر النبي صلى الله عليه وآله الى المدينة، كانت المحنة هي محنة بني اسرائيل ووسائلهم تجاه بث الدعوة، فأشبهت محنة موسى مع قومه بني اسرائيل، ولذلك نجد قصصهم بالذات مفصلة ومسهبة في سور مدنية، على عكس ما كانت في سور مكية..

الثالث: ان الدعوة الاسلامية مرت بمراحل متعددة في سيرها الحثيث، وقد كان القران يواكب هذه المراحل ويماشيها في بياناته وفي اساليبه في الدعوة الحكيمة، ومن ثم كانت القصة الواحدة تعرض على انحاء من قبض وبسط وتفصيل واختزال، وحسب تلك المراحل التي يمر بها الاسلام. ونظراً للظروف التي تمر بها الدعوة..

ومن ثم نجد قصص بني اسرائيل اكثر انتشاراً في القرآن الكريم، ولاسيما السور المدنية بعد الهجرة، لان بني اسرائيل كانوا يشكلون المحنة الكبرى حينذاك، وقبل ذلك لم يكونوا بتلك الاهمية ولا كانوا خطراً على الامة..

وهذا هو اهم الاسباب التي دعت الى تكرار قصص بني اسرائيل في القرآن..

الرابع: انه من الناحية الادبية تعد فضيلة بلاغية او معجزة من معجزات القرآن الكريم. اذ بامكانه سرد قصة

واحدة على اشكال وانحاء، كل مرة يأتي بالعجيب من الكلام بحيث لا يمل السامع من الاصغاء اليه، حتى ولو سمعها في عدة مواطن.. فانه لا يمجها بالسماع لمرة اخرى واخرى لما في كل مرة من الحصول على شئ جديد.. وفي كل جديد لذة..

وان اكثر الكاتبين وغالبية البلغاء اذا كتبوا او ذكروا قصة مرة، يمتنع عليهم ذكرها مرة ثانية حتى ولو غيروا الفاظها وبدلوا اسلوبها، فلا يمكنهم المحافظة على المتانة في الاسلوب والبلاغة في التعبير، كما امكنهم اول مرة.. وهذا على خلاف اسلوب القرآن المتين البديع في جميع نكراراته في القصص والتعابير..

فضلاً عن كونه -ايضاً -وجهاً من وجوه اعجازه البياني، واقعٌ لا خيال؟:- فالقصة في القرآن حكاية عن واقعية كائنة، وعرض حالة طارئة جاءت او كانت ثابتة، وليست مجرد فرضٍ قوامُها الوهم والخيال كما يفعله الفنانون..

غير ان الواقعية تختلف -حسبما اشرنا -الى عينية خارجية وقعت بالفعل، فيعرضها القرآن كشاهد ربما لاجل العظة والاعتبار.. والى حالة ثابتة في واقع الانسان، بحيث لو تجسدت لكانت على مثال ما ضربه القرآن مثالاً، فهو كعرض حال واقع البتة وليس مجرد فرض فرضه القرآن.. فهو على كلا التقديرين امر واقع يستدعيه كيان الانسان في واقعه الاصيل..

فهو عندما يقص قصص الانبياء، وامهم، فهو يحكي تصرفات سالفة وقعت -في الاغلب -وسجلتها صفحات تاريخ الحياة البشرية، إن فضيلةً او رذيلةً، ليتخذها ذووا الاعتبار عِبَراً في شؤون حياتهم الآنية.

ولكن هناك بعض التمثيل عن واقع الانسان، في فطرته وطبيعته وفي نشأته وتصرفاته في هذه الحياة..

ففي كلا المجالين جاءت القصة القرآنية، حكاية لامر واقع وثابت في حياة الانسان، اما خارجية عينية كانت محسوسة او حالة راسخة كادت تكون ملموسة في واقع الانسان.

ولنذكر شواهد لكلا الجانبين:

١. حوادث واقعة:-

اكثر قصص بني اسرائيل هي من الحوادث الواقعة التي سجلتها صفحات تاريخ البشرية، واكثرها عِبَرٌ وعظاتٌ. وتبتدئ بقضايا يعقوب وابنائه، ويوسف ومصر، ثم خروج موسى والتيه الى غيرها من حوادث كبرى مرت بحياة بني اسرائيل..

وهكذا اكثر القصص التي تقص حياة الانبياء العظام وتصرفات امهم تجاه الدعوة والشريعة.. كلها اوجُلّها واقعة على صفحات التاريخ.

فالطوفان ونار نمرود وتدمير قوم لوط وسيل العرم و الاحقاف، امور واقعة، يقصها القرآن علينا لنأخذ منها العظة والاعتبار.. وقد دلت الاثار الباقية على صحة ما يحكيه القرآن. اذ يقول بشأن قوم لوط: ﴿ ثُمَّ دَمَّرۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّكُمۡ لَتَمُرُّونَ عَلَيۡهِم مُّصۡبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيۡلِۗ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾ [سورة الصافات: ١٣٦-١٣٨].

٢. حالات كائنة:-

ان للانسان واقعيات تشكل كيانه في عالم الوجود، وقد كانت من فطرته الاولى التي جبله الله عليها، فهو يعيش عليها ويحيا بها ما دامت البشرية في هذه الحياة.. وللقرآن عن هذه الحالات والواقعيات ترسيمات دقيقة تقص واقع الانسان في الحياة. فهي حكاية وليست عن مقال.

- منها قصة عرض الامانة التي حملها الانسان ورفضها سائر المخلوقين.

قال تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا ﴾[سورة الاحزاب: ٣٣].

ماهذه الامانة، وكيف ذاك العرض، وكيف كان ذلك الاباء والاشفاق، وهذا الحمل؟.

والامانة، هي: العقل الرشيد المستتبع للتكليف، والمستدعي لكون حامله مستوجباً لخلافة الله في الارض واداء رسالته في العالمين.

والامانة -على ذلك -ضخمة هائلة وفي الوقت نفسه خطيرة، وان كانت تترتب عليها اثار اعظم خطراً وافخم جانباً، هو التكليف وحمل رسالة الله

الكبرى في الارض..

والعرض كان على الاستعدادات والقابليات، وقد كانت السماوات والارض والجبال، على ضخامتهن، ضئيلات، يعوزها الاستعداد للتكليف وقابلية حمل الخلافة.. اما الانسان - على صغر حجمه -فكان جديراً بذلك وكان على جانب عظيم من القابلية والاستعداد.. سوى انه -بالتوجه الى جوانب حقيرة من شؤون حياته المادية- جهول بمقامه الشامخ الفخم، ومن ثم فهو ظالم بشأن نفسه وبمقام ربه الذي منحه هذا الشأن الخطير.. ((اتزعم انك جرم صغير -وفيك انطوى العالم الاكبر)).

قال المولى محسن الفيض: ((قيل: ان المراد بالامانة، التكليف. وبعرضها عليهن، النظر الى استعدادهن. وبابائهن، الاباء الطبيعي الذي هو اللياقة والاستعداد. وبحمل الانسان، قابليته واستعداده لها. وكونه ظلوماً جهولاً، لما غلب عليه من القوة والغضبية والشهوية.. وهو وصف للجنس باعتبار الاغلب..))[٩].

وقال سيدنا الطباطبائي: ((.. فالمراد بالامانة، الولاية الالهية. وبعرضها على هذه الاشياء، اعتبارها معينة اليها. والمراد بحملها والاباء عنه، وجود استعدادها وصلاحية التلبس بها وعدمه.. وهذا المعنى هو القابل لان ينطبق على الاية. فالسماوات والارض والجبال على ما فيها من العظمة والشدة والقوة، فاقدة لاستعداد حصولها فيها، وهو المراد بابائهن عن حملها واشفاقهن منها..)).

ثم قال: ((والامانة المذكورة في الاية- وهي الولاية الالهية وكمال صفة العبودية -انما تتحصل بالعلم بالله والعمل الصالح الذي هو العدل. وانما يتصف بهذين الوصفين، اعني العلم والعدل، الموضوع القابل للجهل والظلم، فكون الانسان في حد نفسه وبحسب طبعه ظلوماً جهولاً، هو المصحح لحمل الامانة الالهية..

فالاية تناظر بوجه، معنى قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤ ثُمَّ

(٩) تفسير الصافي ج٢ ص٣٦٩.

رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ [سورة التين: ٤ -٦][١٠]..

قال المولى الفيض الكاشاني -في اخر كلامه -: ((... ان المراد بالامانة، التكليف بالعبودية لله على وجههاً والتقرب بها الى الله سبحانه كما ينبغي لكل عبد بحسب استعداده لها، واعظمها الخلافة الالهية لاهلها، ثم تسليم من لم يكن من اهلها لأهلها وعدم ادعاء منزلتها لنفسه، ثم سائر التكاليف. والمراد بعرضها على السماوات والارض والجبال، النظر الى استعدادهن لذلك، وبابائهن الاباء الطبيعي الذي هو عبارة عن عدم اللياقة لها. وبحمل الانسان اياها تحمله لها من غير استحقاق تكبراً على اهلها او مع تقصيره بحسب وِسْعِهِ في ادائها[١١]...

قال الزمخشري: ان ما كُلِّفه الانسان بلغ من عظمة وثقل محمله، انه عُرض على اعظم ما خلق الله من الأجرام واقواه واشده، ان يتحمله ويستقل به، فابى حمله والاستقلال به واشفق منه، وحمله الانسان على ضعفه ورخاوة قوته. انه كان ظلوماً جهولاً، حيث حمل الامانة ثم لم يف بها وضمنها ثم خاس بضمانه فيها[١٢]. ونحو ذلك.

قال: ونحو هذا من الكلام في لسان العرب وما جاء القرآن إلاعَلَى طرقهم واساليبهم، من ذلك قولهم: لو قيل للشحم اين تذهب؟. لقال اسوي العِوَج.

وكم وكم لهم من امثال على أَلسِنة البهائم والجمادات.. وتصور مقالة الشحم محال، ولكن الغرض ان السمن في الحيوان مما يحسن قبحه، كما ان العجف مما يقبح حسنه. فصور اثر السمن فيه تصويراً هو واقع في نفس السامع، وهو آنسُ به وله اقبل وعلى حقيقته اوقف.. وكذلك تصوير عظم الامانة وصعوبة امرها وثقل محملها و الوفاء بها.

فان قلت: قد علم وجه التمثيل في قوله -للذي لا يثبت على رأي واحد-:

(١٠) الميزان ج١٦ ص٣٧١ -٣٧٢.
(١١) الصافي ج٢ ص٣٧١.
(١٢) يقال: حاس العهد اذا نكث.

اراك تقدم رجلاً وتؤخر اخرى. لانه مثلت حالة في تميله وترجحه بين الرأيين وتركه المعنى على احدهما، بحال من يتردد في ذهابه، فلا يجمع رجليه للمضى في وجهه، وكل واحد من الممثَّل والممثَّل به شيء مستقيم داخل تحت الصحة والمعرفة. وليس كذلك ما في هذه الاية، فان عرض الامانة على الجماد واباءه واشفاقه محال في نفسه، غير مستقيم. فكيف صح بناء التمثيل على المحال. وما مثال هذا الا ان تشبِّه شيئاً بشيء، والمشبه به غير معقول!.

قلت: الممثل به في الاية وفي قولهم ((لو قيل للشحم اين تذهب)) وفي نظائره، مفروض. والمفروضات تتخيل في الذهن كما المحققات، مثلت حال التكليف في صعوبته وثقل محمله بحاله المفروضة لو عرضت على السموات والارض والجبال، لَأَبَيْنَ ان يحملنها و اشفقن منها[١٣].

- ومنها: قصة اخذ الميثاق من ذرية بني ادم واشهادهم عليه في فطرتهم:-

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْۖ قَالُواْ بَلَىٰۛ شَهِدْنَآۛ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴾ [سورة الاعراف: ٧].

هذه الاية حكاية عن امر واقع في سابق الخليقة: متى، وممن اخذ هذا العهد، وكيف كانت تلك الشهادة؟.

انها ودائع الفطرة، قد جبل الانسان عليها في واقع ذاته، وتلك شهادة الفطرة ايضاً، لانها الحضور لدى ما نظر عليه الانسان في ذات كيانه..

فقد جعل الله في فطرة كل انسان، منذ تكوينه وحيث وجوده في ظهور الاباء حسب الذراري المنتشرة على صفحة الزمان.. كفاية عن ان كل انسان-مهما كان نمطه وحيث كان وجوده -فانه مفطور على ذلك من غير استثناء..

وهذه الفطرة هي حاضرةُ نفسِهِ وشهودُ ذاتِهِ، لاتغيب عنه، مهما تقلبت اوضاعه واختلفت احواله، فان الذي يواصل حضوره لديه في كل الاحوال

(١٣) الكشاف للزمخشري ج٣ ص٥٦٥.

والاوضاع، انما هو فطرته وذاتياته التي ترافقه على كل حال..

ولو لا ذلك لما كان لدعوات الرسل و الانبياء تأثيرها في النفوس وقبولها لدى العقول..

قال الامام امير المؤمنين عليه السلام: ((فبعث فيهم رسله، وواتر اليهم انبياءه، ليستأدوهم ميثاق فطرته، ويذكروهم منسيَّ نعمته، ويحتجواعليهم بالتبليغ، ويثيروا لهم دفائن العقول..))[١٤].

والى هذا المعنى يشير قوله تعالى: ((﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِي هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾

[سورة يس: ٦٠ - ٦١].

اشارة الى ذلك العهد و الميثاق المودع في فطرة الانسان.

- ومنها: قصة بدء الخليقة وجعل الانسان خليفة الله في الارض، وسجود الملائكة له:

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾

[سورة البقرة: ٣٠ - ٣٤].

ما هذه الخلافة التي منحها الله للانسان دون غيره من المخلوق؟.

وكيف علمت الملائكة ان الانسان سوف يفسد في الارض...؟.

وما هذه الاسماء التي علمها الله لادم دون الملائكة وغيرهم...؟.

وكيف كان ذاك التعليم الاختصاصي ذلك الحين...؟.

وكيف استسلمت الملائكة لفضل ادم عليهم في العلم...؟.

(١٤) الخطبة الاولى من نهج البلاغة.

وكيف ولم سجدت الملائكة لادم، وكيف كان ذلك السجود...؟.

اسئلة متسلسلة في هذا المقطع من ايات ترتبط ببدء الخليقة..

وهل هناك كان المسرح حقيقياً ام مجرد تمثيل كانت الواقعية حليفته ذلك الحين، ولا يزال مستمراً عبر الحياة...؟.

هذا هو السؤال الاساسي في الموضوع!.

لاشك انها واقعية ملموسة في كيان الانسان منذ نشأته في هذه الحياة و لا تزال مستمرة معه مع الابدية..

وليست مجرد فرض او خيال وهم، كما زعمه البعض.. انما الكلام في ان المسرحية وقعت بالنص، او انها حكاية حال واقع في كيان الانسان وتصرفه في هذا الوجود؟.

قال الاستاذ احمد مصطفى المراغي-نقلاً وتلخيصاً لما ذكره الشيخ محمد عبده هنا -: هذه الاية - كالتي قبلها -تعداد للنعم الصارفة عن العصيان والكفر، الداعية الى الايمان والطاعة... وفيها وفيما بعدها قصص لاخبار النشأة الانسانية، ابرز فيه حكماً واسراراً، جاءت في صورة مناظرة وحوار. وهو المتشابه الذي لا يمكن حمله على المعنى الظاهر منه، لانه إما استشارة من الله لعباده، وذلك محال. واما اخبار منه للملائكة فاعتراض منهم ومحاجة، وذلك لا يليق بالله ولا بملائكته، وبحسب ما جاء في وصفهم في قوله: ﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [سورة التحريم: ٦] ومن ثم كان للعلماء في هذا وامثاله رأيان: -

الاول: رأي المتقدمين منهم، وهو تفويض الامر لله في بيان المراد من كلامه تعالى، مع العلم بانه لا يخبرنا بشئ الا لنستفيد به في اخلاقنا واعمالنا..

فهذا الحوار المصور بصورة القول والمراجعة والسؤال والجواب، لا ندرك حقيقة المراد منه، وان كنا نجزم بان هناك مقاصد اريد افادتها بهذه العبارات، وان الله كان يعد لادم هذا الكون، وان لذلك المخلوق كرامة لديه بما اودعه فيه من فضائل ومزايا...

الثاني: رأي المتأخرين منهم، وهو تأويل ما اشتبه علينا من قواعد الدين، لانها انما وضعت على اساس العقل، فاذا ورد في النقل شئ يخالف حكم العقل، حمل النقل على غير الظاهر منه بتأويله حتى يتفق مع حكم العقل.

وعلى هذا، فالقصة وردت مورد التمثيل، ليقرِّبها سبحانه من اذهان خلقه بإفهامهم حال النشأة الادمية وما لها من ميزة خاصة، بان اخبر ملائكته بانه جاعل في الارض خليفة، فعجبوا وسألوه بلسان المقال ان كانوا ينطقون، او بلسان الحال بالتوجه اليه تعالى ان يفيض عليهم المعرفة، كيف تخلق هذا النوع ذا الارادة المطلقة والاختيار الذي لا حد له، وربما اتجه بارادته الى خلاف المصلحة والحكمة، وذلك هو الفساد. فالقى عليهم بطريق الالهام.

وجوب الخضوع والتسليم لمن هو بكل شئ عليم. فما يضيق عنه علم احد، يتسع له علم من هو اعلم منه.

وهذا جواب ربما لا يذهب بالحيرة، ومن ثم تفضَّل على الملائكة وابان لهم الحكمة في خلق هذا النوع، فعلَّم ادم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة. فعلموا ان في فطرة هذا النوع استعداداً لعلم ما لم يعلموا، وانه اهل للخلافة في الارض، وان سفك الدماء لا يذهب بحكمة الاستخلاف وفائدته.

وخلاصة هذا، ان الملائكة تشوقوا لمعرفة الحكمة في استخلاف ذلك المخلوق الذي من شأنه ما قالوا، ومعرفة السر في تركهم وهو المجبولون على تسبيحه وتقديسه، فاعلمهم انه اودع فيه من السر مالم يودعه فيهم..

قال المراغي: هذا مجمل ما حَلّى الاستاذ الامام محمد عبده﵀ البحث حين تفسيره للاية، ونقله عنه صاحب المنار في تفسيره[١٥].

قلت: لاشك في ان القول منه تعالى يختلف عن كلامه مع خلقه.. اذ الكلام منه تعالى هو خلق الصوت في الهواء بحيث يصل الى مسامع المخاطبين، من غير فرق في كيفيته بين كلامه تعالى وكلام

(١٥) تفسير المراغي ج١ ص٧٨ - ٨٠. وراجع: تفسير المنار ج١ ص٢٥١ فما بعد..

غيره سوى في منشأ الصدور.

فقوله تعالى: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا ﴾[سورة النساء: ١٦٤].

وقوله: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ ﴾[سورة الاعراف: ١٤٣].

كان المراد بالكلام هنا، كسائر الكلام: تموُّج في الهواء يقرع صماخ السمع، سوى ان منشأه يختلف عن منشأ سائر الكلام..

اما القول منه تعالى، ولا سيما مع غير ذوي النطق من الانسان، من سائر انواع المخلوق كالسماء والارض والملك والجن وغيرها -حسبما جاء في القرآن-وحتى القول المنسوب الى الجماد والحيوان في القرآن.. فكلها على تأويل الوحي والالهام او مطلق ابداء ارادته تعالى في خلقه واظهار ما في النفس من المقاصد في مثل الحيوان... فهو تعبير كفائي، كأن المراد: لازم معنى القول، لا القول الكلامي بالذات...

قال تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ﴾[سورة فصلت: ١١].

وقال: ﴿ قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴾[سورة الانبياء: ٦٩].

﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي ﴾[سورة هود: ٤٤].

﴿ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[سورة يس: ٨٢].

﴿ إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[سورة مريم: ٣٥].

﴿ يَوۡمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمۡتَلَأۡتِ وَتَقُولُ هَلۡ مِن مَّزِيدٖ ﴾[سورة ق: ٣٠].

وقد جعل العلامة الطباطبائي، القول مع الملائكة وابليس، قصة نشأة الخليقة، من هذا القبيل، اي كناية عن ابداء مراده تعالى، وليس لفظاً بالكلام المتعارف..

قال: واما لفظ القول في كلامه تعالى فقد عم الانسان وغيره: حين قال في مورد الانسان: ﴿ فَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوّٞ لَّكَ وَلِزَوۡجِكَ ﴾[سورة طه: ١١٧].

وفي مورد الملائكة: ﴿ وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗ ﴾[سورة البقرة: ٣٠].

وفي مورد ابليس: ﴿ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا

مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾[سورة ص: ٧٥].

وفي مورد غير اولى العقل: ﴿ قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾[سورة الانبياء: ٦٩].

قال: ويكشف المراد من القول في جميع هذه الموارد على انواعها وتشتتها، قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[سورة يس: ٨٢].

فالقول منه تعالى كناية عن ابداء ارادته بشأن الخلق والايجاد..

قال: والذي يعطيه التدبر في الموارد المذكورة، ان القول منه تعالى عبارة من ايجاد امر يدل على المعنى المقصود..

فاما في التكوينيات، بالشيء نفسه الذي اوجده، هو بعينه قولٌ له تعالى، لدلالته بالوجود على خصوص ارادته. ولا واسطة بينه وبين ارادته تعالى، فهو بعينه قوله (كن) الكاشفة عن ارادته للوجود، والايجاد والوجود شئ واحد..

واما في غير التكوينيات، كما في مورد الانسان -مثلاً- فبايجاده تعالى امراً يوجب علماً باطنياً في الانسان، سواء أكان بقرع السمع او بالنكث في القلب، او بغير ذلك فما عبر عنه في القرآن بالقول...

قال: وكذلك القول في مورد المَلَكِ والجن (ابليس) ليس سوى ايجاد علم باطني فيهم باي سبب كان. سوى ان المَلَكَ والجن ليس وجودهما من سنخ وجودنا، فليس نوع التفاهم فيما بينهم كالتفاهم فيما بيننا باعتبار الذهن واللفظ والوضع اللغوي ونحو ذلك.. نعم حقيقة القول حاصلة فيهم، علماً واثراً...

وهكذا القول في مورد الحيوان، في قوله تعالى -حكاية عن النمل-: ﴿ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَـٰكِنَكُمْ ﴾[سورة النمل: ١٨] وحكاية عن الهدهد: ﴿ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾[سورة النمل: ٢٢]..

والقول -في ذلك- نظير الوحي والالهام، المستعمل في امثال المورد: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا

﴿وَتَقْوَىٰهَا﴾[سورة الشمس: ٧-٨].

والقول -في جميع ذلك -عبارة او كفاية عن معنى حقيقي كان يترتب عليه القول الكلامي او غيره مما يعرب عن تلك الحقيقة.. نعم يختص بعض الموارد ببعض التعابير كالكلام او النبأ او الخبر او الوحي او الالهام.. لعناية خاصة تستدعي ذلك.. والا فالجميع تعبير عن تلك الحقيقة الواحدة[١٦]...

والخلافة -هنا -هي الخلافة الالهية الكبرى، التي منحها الله هذا الانسان، بفضل ما اودعه فيه من صفات وسمات، هي تشكل حقيقته الانسانية، بما يفضله على غيره و يفصله عن سائر المخلوق.. وتتلخص في المعرفة الذاتية والقدرة على الابداع.. .

فالانسان خلق لتعمر به الارض وتزدهر به الحياة، وليتصرف في عالم الوجود كيف يشاء، وفق حكمته تعالى ومصلحته في هذه النشأة.. فقد اصبح الانسان خليقته تعالى في الخلق والابداع...

قال تعالى ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾[سورة هود: ٦١].

وقال: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[سورة الجاثية: ١٣].

﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾[سورة لقمان: ٢٠].

فجميع قوى الارض و السماء جعلت في قبضة الانسان، يتصرف فيها كيف يشاء، حسب ارادته و قدرته الخارقة، وما هي الا نعمة من الله وفضل منه عميم. ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ﴾ [سورة الزخرف: ١٣].

ومن ذلك الاختيار التام والارادة المطلقة في الانسان، علمت الملائكة ان سوف يبغي الفساد في الارض، حيث مزدحَمُ المصالح ومتشابَكُ النزعات والتناحر في البقاء...

والاسماء، هي سمات الاشياء وذاتيات الحقائق الراهنة في الوجود، كان بامكان الانسان القدرة على معرفتها

(١٦) راجع: الميزان ج٢ ص٣٣٣-٣٣٥.

واستحصال ما فيها من آثار ونتائج يستفيد منها في الحياة، وبذلك تزدهر معالم العلم والفنون والاداب..

فمعرفة الانسان بالاسماء، هي معرفة باثار الحقائق الموجودة في العالم الفسيح، يكشف عنها بفضل علمه ونبوغه على مدى الايام.. ولا يزال.. فهذه القدرة الخارقة على كشف الحقائق ولمس اثار الوجود، هي التي فضلت الانسان على سائر الخلق.. وجعلته في مكانة سامية، مكانة الخلافة الالهية الكبرى..

والتعليم، انما كان بالايداع في الذات، فقد خلق الانسان كذلك، والذاتي لا يعلل.. فالانسان اذا خُلق خُلق كذلك، والمَلَك اذا خُلق خلق على صفات المَلَكية، وكذا الجن والحيوان و سائر المخلوقات، كل خلق على شاكلته وعلى سماته وصفاته التي اودعها الله فيه حسب اقتضاء طبعه وسجيته..

يعني: ان الماهيات، وكلا على حسب ذاتياتها متمايزة بعضها عن بعض، والله تعالى انما يفيض عليها بالوجود، كل على حسب شاكلته.. وهكذا الانسان خلق انساناً متمايزاً في ذاتياته عن سائر الخلائق، فلو خلق المَلَك على ذاتيات الانسان لكان انساناً ولم يكن ملكاً.. وهكذا غيره.. فلو اودع في التفاحة سمات الرمانة لكانت رمانة ولم تكن تفاحة او كذا العكس.. وهكذا..

الامر الذي عرفته الملائكة فاذعنت لحكمته تعالى واعترفت بان لا علم لها سوى ما علمه تعالى اياهم وانهم عن الغيب غافلون..

والسجود: خضوع تام.. امرت الملائكة، وهي تمثل قوى الطبيعة، ان تكون خاضعة للانسان وفق مصالحه في هذه الحياة..

نعم ربما كان هناك بعض انحاء الخضوع، رمزاً لهذا الخضوع المستمر في حياة الانسان.. فالملائكة وهي تمثل قوى الطبيعة في انحاء الوجود، خاضعة لارادة الانسان، وجاهدة في تأمين مصالحه في الحياة وفق ارادته.. .

والسجود -هنا- كالسجود في قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ

طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾[سورة الرعد: ١٥].

فكل قوى الطبيعة الشاعرة وغير الشاعرة خاضعة لارادته تعالى، كل يعمل على شاكلته التي خلقه الله عليها في نظام الوجود.

نعم لم تخضع قوى الشر -ويمثلها ابليس -لمصالح الانسان، بل في معاكستها لغرض الافساد عليه في الحياة..

قال الاستاذ محمد عبده: فاذا جرينا على هذا التفسير، فليس ببعيد ان تكون في الاية اشارة الى ان الله لما خلق الارض ودبرها بما شاء من القوى الروحانية التي بها قوامها، وجعل كل صنف من القوى مخصوصاً بنوع من المخلوقات لا يتعداه، خلق الانسان واعطاه قوة بها يتصرف في جميع القوى ويسخرها في عمارة الارض. وهذا التسخير هو المعبَّر عنه بالسجود الذي يفيد معنى الخضوع. وبهذه القوة التي لا حد لها جعله الله خليفة في ارضه، لانه اكمل الموجودات. واستثنى من هذه القوى قوة واحدة تميل بالكامل الى النقص، وتصده عن عمل الخير، وتنازع الانسان في صرف قواه الى المنافع والمصالح التي تتم بها خلافته، تلك القوة التي ضللت اثارها قوماً فزعموا ان في العالم الهاً يسمى اله الشر، وما هي باله، ولكنها محنة اله لا يعلم اسرار حكمته الا هو. تلك القوة هي المعبر عنها بابليس..

قال: ولو ان نفساً مالت الى قبول هذا التأويل لم تجد في الدين ما يمنعها من ذلك. و العمدة على اطمئنان القلب وركون النفس الى ما ابصرت من الحق..[١٧].

قصة صالح وثمود:-

تكرر ذكر صالح وقومه ثمود، عشرمرات في القرآن: في سورة الاعراف: ٧٣، ٧٤، ٧٥، ٧٧. وفي سورة هود: ٦١، ٦٢، ٦٦، ٨٩. وفي سورة الشعراء: ١٤٢. وفي سورة النمل: ٤٥.

وقوم صالح هم ثمود: القبيلة التي منها صالح، سميت باسم جدها ثمود بن عامر. كانت مساكنهم بالحِجر -بكسر الحاء المهملة -موقعها بين الحجاز

(١٧) المراغي ج١ ص٨٧. وراجع تفسير المنار ج١ ص٢٦٩.

والشام الى وادي القرى. ومدائن صالح ظاهرة الى اليوم. قال النجار: وقد زار بعض اصحابي ودخل بيت الملك، وهو بيت ذو حجرات به ردهة كبيرة وهو منقور في الصخر. والمكان الذي فيه ديارهم يعرف الى اليوم بـ(فج الناقة)[١٨].

قال المسعودي: ورممهم باقية واثارهم بادية في طريق مَنْ وَرَدَ من الشام. حجر ثمود في الجنوب الشرقي من ارض مَدْيَن، وهي مصاقبة[١٩] لخليج العقبة. وقد كان يقال لعاد: عاد ارم، الى ان هلكوا، فقالوا: ثمود ارم..

قال بعض المؤرخين: ثمود بقية من عاد. ويدَّعي اهل حضر موت ان ديار ثمود كانت من مستعمرات عاد.. ويؤيده قول صالح لقومه: ﴿ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ﴾ [سورة الاعراف: ٧٤].

واثارهم في نحت الجبال والصخور باقية وقد جاء وصفهم بذلك في القرآن: ﴿ وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَرِهِينَ ﴾ [سورة الشعراء: ١٤٩]. ﴿ وَكَانُواْ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴾ [سورة الحجر: ٨٢].

قال جرجي زيدان: ذكرت ثمود في القرآن مع عاد، لان المراد بهما واحد من حيث العبرة والموعظة. فبعد ان ذكر خبر عاد عطف على ثمود فقال:

﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۘ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِيٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْاْ فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِمَنْ ءَامَنَ

(١٨) قصص الانبياء ص٥٨ للدكتور عبد الوهاب النجار.
(١٩) اي مقاربة.

مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾ [سورة الاعراف: ٧٣-٧٩].

قال: هذا خبر ثمود، ولم يزد المؤرخون عن ان توسعوا فيه وشوهوه بمبالغات لا فائدة من ذكرها. والمشهور من كتب العرب ان ثموداً كان مقامها في الحجر المعروفة بمدائن صالح، في وادي القرى بطريق الحاج الشامي الى مكة. وقد وصلت السكة الحديدية الحجازية الى الحجر سنة ١٩٠٧... وجاء ذكرها في كتب اليونان نحو تاريخ الميلاد وبعده، وعينوا مكانها في الحجر، وهم يسمونها ((ثموديني)). وبجواره مكان يسميه العرب (فج الناقة) وقد سماه بطليموس (Badomata).

واما الثابت من قراءة الآثار ان مدائن صالح (الحجر) دخلت قبيل تاريخ الميلاد في حوزة النبطيين، بدليل ماعلى اطلال تلك المدائن من الكتابة النبطية. والاطلال المشار اليها زارها غير واحد من المستشرقين، ودرسوا بقاياها وهي منقوشة في الصخر، اهمها انقاض تعرف بقصر البنت وقبر الباشا والقلعة والبرج. وقرأوا ما عليها من النقوش النبطية، فاذا اكثرها او كلها تبركات منقوشة على القبور[٢٠]..

اما الاية في الناقة -حسبما جاء في القرآن- فهي قسمة الماء بينها وبين القوم، فلها شرب ولهم شرب يوم معلوم. ﴿ إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ ۖ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴾ [سورة القمر ٢٧-٢٨].

﴿ قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾[الشعراء: ١٥٥].

(٢٠) العرب قبل الاسلام لجرجي زيدان ص٧٧-٧٨.

فقد جاءهم صالح بناقة يحلب لبنها، وشرط عليهم ان يتركوا الماء لها يوماً، ويكون لهم يوماً اخر.. فكانت الناقة تشرب الماء كله ذلك اليوم وتدر لهم حليباً كثيراً..

لكنهم صعب عليهم الصبر على الماء يوماً كاملاً.. فعقروها.. وجاءهم العذاب..

واخذتهم الصاعقة، بحيث رجفت بهم الارض، فدمدم عليهم العذاب فكانوا كهشيم المحتظر.

هذا كل ما يعطيه القرآن بشأن قوم صالح، وليس فيه شئ غريب يخالف العقل او العلم.